

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

دراسة الشخصية في الرسالة السابعة من رسائل البطلات وديوان التقويم

د. مدحت عبد البديع عبد الباقي

جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

مقدمة

إذا كان بعض النقاد يطلقون على فرجيليوس أنه أكثر الشعراء توظيفاً لموهبته في خدمة الإمبراطورية الرومانية، فإن أوفيدوس قد نظروا إليه على أنه الأقل وطنية من بين شعراء العصر الأوغسطي؛ وذلك لأن أشعاره كانت تعبر في المقام الأول عن ميوله واتجاهاته الشخصية بدلاً من الدوافع الوطنية. كان فرجيليوس أفضل من وضع أهداف عصره، ومن عبر عن مثله العليا في سبيل تحقيق الرقي والسيادة للجنس البشري. كان مثله في ذلك مثل أفراد قليلين، يتأمل الماضي والمستقبل في آن واحد؛ وأثناء وقفته بين هذين العالمين فإنه قد عبر تعبيراً صادقاً عن ماضي أمته وبني جلدته، بل شارك في خلق مستقبلهم. أصبحت، بفضلها، إيطاليا وروما لهما هبة كبيرة، وعلى يديه صار اسم فرجيليوس مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بهما. يستعرض البحث سمات الشخصية عند أوفيدوس، وبالتحديد شخصية آينياس من خلال ديوان رسائل البطلات وديوان التقويم، من حيث تتبع تطورها الطبيعي من خلال الأحداث.

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

ديوان رسائل البطلات:

قام أوفيدوس في رسائل البطلات بالتدقيق في اختيار النموذج الإلجى بعد أن تجول بين الملحمة والتراجيديا. في الرسالة السابعة انتقى شخصية ديدو⁽¹⁾ من إنيادة فرجيليوس التي تمده بعناصر صالحة لفن الإقناع (Suasoria) ، وذلك لإقناع آينياس أن لا يرحل عنها.

إن الشكل الرسائلي قد فرض بالطبع قيودًا على الشاعر، وعلى وجه الخصوص الرسائل الخمسة عشرة الأولى، ومن بينها الرسالة السابعة "ديدو إلى آينياس"، فلقد جاءت على هيئة مونولوجات، فهي لا تنتظر ردودًا، كما أنها تقوم في أغلب الأحيان على موقف واحد وهو "تحبيب المرأة على فراق الرجل".

إن بناء الرسالة لا يسمح بالتنوع كثيرًا، ولأن أوفيدوس قد وضع في الاعتبار إمام جمهوره المثقف بالأسطورة كلها، فإن سرد الأحداث نادرًا ما يتم قطعه لتذكر الأحداث الماضية، بل كان المونولوج ينتقل في العادة من الحديث عن يأس المرأة ثم دعوتها إلى الرجل للعودة ثم تحته على الوفاء بوعوده.

لا شك أن تدريبات "فن الإقناع" (Suasoria) قد لعبت دورًا مؤثرًا في رسالة ديدو إلى آينياس، فهي تبدأ من نقطة زمنية محددة، وهي لحظة ذات خصوصية معينة في تسلسل الأحداث المتصلة بالأسطورة التي نعرفها من المصادر الأدبية الأخرى:

sed merita et famam corpusque animumque pudicum

١. "ديدو" (Dido) هي الابنة الأسطورية لملك مدينة صور، والذي أطلق عليه فرجيليوس اسم "بيلوس" (Belus). كانت ديدو ملكة فينيقية، وتسمى إليسا (Elissa) في صور، حكمت أراضي الليبيين بعد أن نزلت إليها من مدينة صور هربًا من أخيها. كان زوجها يدعى سيخايوس، أكثر الفينيقيين ثراءً، الذي قتله شقيق ديدو غير مكترث بعواطفها. جاء شبح سيخايوس إلى ديدو في المنام ونصحها أن ترحل فورًا من وطنها إلى وطن آخر تقيم فيه:

Dictionnaire de l'Antiquité, p. 314.

cum male perdiderim, perdere verba leve est.
Certus es ire tamen miseramque relinquare Dido,
atque idem venti vela fidemque ferent?
certus es, Aenea, cum foedere solvere naves,
quaeque ubi sint nescis, Itala regna sequi?⁽²⁾

" ولكن منذ أن خسرت، على نحو مؤسف، خدماتي لك وسمعتي
وجسدي وروحي الطاهرة، فإنه من الهين أن أخسر الكلمات أيضاً.
على أية حال، هل أنت عازم على الذهاب وهجر ديدو البائسة؟
وهل ستحمل الرياح أشرعتك ومعها وعودك لي؟
هل أنت عازم، يا أينياس، على أن تحل سفنك وتتحلل معها من عهدك،
وأن تفتفى أثر الممالك الإيطالية، التي لا تدري أين تقع؟"⁽³⁾

إن مونولوج ديدو هنا هو تأكيد على الإحساس بالواجب (pietas) تجاه آينياس، لقد
وضعت الأقدار خطتها لآينياس الذي يجب عليه أن ينفذها كي يستطيع أن يؤسس
مدينته، إن ربات القدر (Parcae)⁽⁴⁾ قضت بأن شعباً سيظهر من أصل طروادي،
سوف يأتي ليصب على ليبييا الدمار، لهذا كان بطل الملحمة يسير حسب هذه
الخطة في مرحلة اللاوعي في صبر وشجاعة، فلقد كان طوعاً للأقدار التي تقادفته.
من الملاحظ أن النموذج الذي اتبعه أوفيدوس في الرسالة السابعة من رسائل
البطلات (Epistulae Heroidum) كان إيادة فرجيليوس، فأوجه الشبه بينهما

2. Ov. Her. 7. 5-10.

٣. أوفيدوس، رسائل البطلات، ترجمة علي عبد التواب، بهاء الدين أسامة، العدد الخامس والعشرين، مركز جامعة
القاهرة للغات والترجمة، مشروع جامعة القاهرة للترجمة، ٢٠١١، الرسالة السابعة، ديدو إلى آينياس، ص ١١٣.
٤. ربات القدر هن الإلهات المسيطرات على أقدار البشر، وهن كما يقول بعض الشعراء بنات "الضرورة" و
"القدر" ويطلق عليهن عند الإغريق "كلوثو" (Clotho) و "لاخيسيس" (Lachesis) و "أترويوس"
(Atropos)، ويقابلهن عند الرومان "تونا" (Nona) و "دكوما" (Decuma) و "مورتا" (Morta). كُن
يقطن مكاناً مجاوراً لربات الساعات في المناطق الأولمبية حيث يسيطرون لا على مصير البشر فحسب،
بل أيضاً على حركة الأجرام السماوية، وتناسق العالم. Commelin P., op. cit. p. 95.

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

يكون لافتاً للنظر، كما يمكن للمرء أن يتنبأ أن أوفيدوس يتبع عن كثب فرجيليوس من خلال سير الأحداث، مما سمح لنفسه بالقيود التي لا مفر منها في هذا النوع من الأدب والإيجاز في علاجها. إن التغييرات في وقائع القصة هي قليلة وطفيفة، وعندما صنعها الشاعر وقدمها فهي على ما يبدو لغرض تعزيز قضية ديدو ضد آينياس⁽⁵⁾، فهذه التغييرات تبدو مقنعة من خلال الأسباب التي أفردها الشاعر على لسان ديدو، لماذا يجب على آينياس تغيير خطه تماماً أو تأجيل مغادرته، هي تذكر أن السفر في البحر أثناء الشتاء يكون خطيراً؛ كما أن رجاله غير حريصين على الرحيل، ولا سفنه في حالة صالحة على الإبحار:

aut mare, quale vides agitari nunc quoque ventis,
qua tamen adversis fluctibus ire paras.
quo fugis? obstat hiemps. hiemis mihi gratia prosit!⁽⁶⁾

أم أنجبك بحر، كذلك الذي تراه ثائراً بفعل الرياح،
والذي تستعد لخوضه، رغم ما به من أمواج معادية.
إلى أين تهرب؟ عواصف الشتاء تمنعك. ليت عواصف
الشتاء تفيديني وتسدي لى ذلك المعروف !

ثم تضيف بعد ذلك:

et socii requiem poscunt, laniataque classis
postulat exiguas semirefecta moras;⁽⁷⁾
" ورفاقك يطلبون الراحة ، وأسطولك المتهالك ،
الذي لم يكتمل إصلاحه ، يحتاج فسحة ضئيلة من الوقت ؛

5. Britton, E. L., The Dido-Aeneas Story from Vergil to Dryden, Diss., University of Virginia, 1984, p. 92.

6. Ov. Her. 7. 39-41.

7. Ibid. 7. 175-6.

إلى جانب ذلك فمن الممكن أنه لا يشعر بالامتنان نحو ديدو التي عرضت عليه الضيافة له و لرجاله:

**fluctibus eiectum tuta statione recepi
vixque bene audito nomine regna dedi.**⁽⁸⁾

لقد استضفتك فى قصرى الآمن بعد أن قذفت بك الأمواج،
ومنحتك مملكتى، رغم أنى بالكاد كنت أعرف اسمك.

علاوة على ذلك، قد يُنظر إلى آينياس أن رحيله سيضع ديدو في خطر كبير، حيث إن قطعة أرضها محاطة بجيران معادين لها والتي أساءت لهم حيث تقدم عدد منهم لخطبتها ولكنها فضلت الغريب عليهم، إن العرفان بالفضل لم يحركه، ولا حتى الرحمة والشفقة:

**bella tument; bellis peregrina et femina temptor,
vixque rudis portas urbis et arma paro.
mille procis placui, qui me coiere querentes
nescio quem thalamis praeposuisse suis.**⁽⁹⁾

" كانت الحروب تتهددنى ؛ فقد استشعرت ، كغريبة وكامرأة ، نذر الحرب ،
وبالكاد جهزت مدينة بوابات متواضعة وبالسلاح .

لقد أثرت إعجاب ألف خاطب ، الذين اجتمعوا على الشكوى
من أننى فضلت الزواج من رجل غريب عليهم."

قدم أوفيدوس آينياس في صورة الورع المتدين (pius) ، فهو البطل المثالي لروما القديمة، الذي يجسد فضيلة الإحساس بالواجب (pietas)، وهي الفضيلة التي تشمل واجبات المرء نحو الآلهة والأسرة والأجداد ووطنه. إن فضيلة " الإحساس بالواجب" (pietas) من الأخلاق التي كان الرومان يعتبرونها من خصائصهم طوال تاريخهم. كان يستخدم هذا اللفظ للإشارة إلى الرجل المتدين، الذي يؤدي واجبه على أكمل

8. Ov. Her. 7. 89-90.

9. Ibid. 7. 121-4.

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

وجه تجاه أهل بيته ووطنه، وهو أيضاً الواجب تجاه الآلهة إن كنت تسلم بمطالبهم، وتعرف واجبك نحو والديك وأولادك وأصدقائك والمحسنين إليك، ونحو كل من يبعث احترامك أو محبتك إن كنت تسلم بحقوقهم عليك، وتؤدي واجبك طبقاً لذلك. لقد أخذت الأفكار المرتبطة بالخلق تكتسي بثوب من قداسة العبادة الدينية؛ وإنه من الصعب أن نفهم الأدب الروماني إن لم نفسر الفضائل التي كثيراً ما كان يتغنى بها المؤرخ والخطيب والشاعر، فقد كانت مرتبطة بالواجب المفروض على المواطن والدولة. وإنما نجد أصل ذلك الشعور بالواجب الذي كان يتصف به الروماني في أحسن حالته، والذي كثيراً ما يجعل منه شخصاً لا يثير الاهتمام، مع أنه كان من الجائز أن يصبح شهيداً للأحد المثل العليا.⁽¹⁰⁾ وأخيراً هناك فرصة أن يبدو قد تكون حاملاً، وكيف يمكن لآينياس هجر الزوجة والطفل:

Forsitan et gravidam Dido, scelerate, relinquo,
parsque tui lateat corpore clausa meo.
accedet fatis matris miserabilis infans,⁽¹¹⁾

"ولعلك ترحل عن ديدو، أيها الآثم، حتى وإن كانت حامل،

وجزء منك يكمن مختفياً في رحمى.

وسيلقى الجنين المسكين نفس مصير أمه،"

والحق إننا نجد أن كل هذه الأسباب التي قدمتها ديدو تتسم إما بالمغالاة أو تزييف واضح للحقائق التي قدمها فرجيليوس في الإنيادا، فقد استعان الشاعر بالنموذج الفرجيلي من أجل عرض قضية بطلته. لكن في الإنيادا برع الشاعر في تصوير ما يجول بداخل ديدو كبطللة تراجيدية سيطر البطل على مشاعرها وغزا قلبها المرتجف.

10. Jenkyns R., Classical Epic: Homer and Virgil, 2nd edition, Bristol Classical Press, 1998, p. 112.

11. Ov. Her. 7. 133-5.

إن مشاعر الملكة ديدو قد وظفها الشاعر على العديد من المستويات، فمنها: الاجتماعي والشخصي، وأيضًا المستوى الوطني، وهو ما يهمننا هنا، حيث سرد على لسان بطلته بعض الصفات التي تمثل الطباع الرومانية.

إذا كانت الصداقة القائمة على الحب والود ضرورية لتدعيم فكرة البطولة، فإن الحب العاطفي مدمر لها. لقد تمكّن الحب من ديدو، ولا ترى هي أي مبرر لما فعله آينياس، حتى لو كان بأوامر من الآلهة، لقد انقلب الحب إلى كراهية ووصفته بالخائن، فمازالت تكتوي بالنار ويكاد الجنون يذهب به.⁽¹²⁾

لقد وجدت ديدو في الموت ملأًا بعد أن روعتها سطوة الأقدار، ثم إنها كانت تتوسل إلى الإله العادل الذي يرفع عين العدالة المحبين الذين هجرهم أحبائهم، إن كان لمثل هذا الإله وجود.⁽¹³⁾

يصل حب البطلة ديدو آينياس إلى عجزها عن المقاومة، لقد فقدت استقلاليتها وهويتها لنفسها من خلال عاطفتها المتأججة الجامحة حيث إنها قد وقعت في حب البطل، إنه حب مدمر، فقد دمرت كل ما بنته من أجل الاحتفاظ بحبيبها، وسيهجرها هذا الحبيب ويرحل، وتمكّن اليأس من قلبها:

'Sed iubet ire deus.' vellem, vetuisset adire,
Punica nec Teucris pressa fuisset humus!
hoc duce nempe deo ventis agitaris iniquis⁽¹⁴⁾

" لكن الإله يأمرك أن ترحل. " كم كنت أتمنى أن يمنعك من

القدوم عندي، ليت الأرض الفينيقية لم تطأها الأقدام الطروادية!

أحقًا تحت إرشاد هذا الإله هبت ضدك رياح معادية، "

12. Hershkowitz D., The Madness of Epic, Reading Insanity from Homer to Statius, Clarendon-Oxford, 1998, p. 97.

13. Kerényi C., The Gods of the Greeks, London, 1979, p.174.

14. Ov. Her. 7. 139-141.

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

إن ما يميز رسالة ديدو إلى آينياس إنها أشعار النحيب، فهي تعبر عن موقف تعس لامرأة هجرها زوجها أو حبيبها، فمعاناة البطلة هنا ليست مجرد معاناة بشرية، بل هي معاناة نسائية أو آلام الهجر الضعف والإذلال، فعليها أن تتحمل ذلك، وليس بإمكانها الدفاع عن نفسها، لذلك فإن هذه الرسالة تعود إلى الشعر الإيجي كأشعار تعبر عن الحزن والنحيب.

إن البطلات هي رسائل من إبداع الشاعر نفسه، ولم تسبقها أية نماذج أخرى عن اليونان أو الرومان، لكن هذا لا يعني إنها تحتوي على خليط من عناصر شعرية متناثرة، فمثلاً في الرسالة السابعة، وهي رسالة ديدو إلى آينياس، تأثر الشاعر بإنياذة فرجيليوس، وعلى الأخص الكتاب الرابع والذي تتحدث فيه ديدو إلى آينياس. و يفهم القارئ من حديثها قصة البطل الطروادي آينياس (Aeneas) الذي رحل عن طروادة بعد سقوطها، متجهاً نحو الأرض الإيطالية لتأسيس وطن جديد هناك. كان آينياس لا يبحث عن الطريق لعودته إلى وطنه الأم، وإنما يسعى إلى الذهاب إلى عالم جديد لم يذهب إليه أحد من قبل، نحو المستقبل المجهول، فهو لم يرد تأسيس مدينة جديدة فحسب، بل سيضع القواعد لحياة جديدة تماماً. سيكون أول روماني في إيطاليا، لأنه آخر طروادي على الأرض، فهو يمثل مجتمعاً بأسره، أو بالأحرى تكمن فيه بذرة عالم جديد، ولذلك فهو يتحمل مسؤولية ضخمة تفوق ما تحمله أي بطل آخر.

إن فأي محاولة من جانب ديدو بوصف آينياس بالخداع والكذب أو أنه عديم المسؤولية يصب في صالح الشخصية، فلقد ضحى بحبه من أجل إحساسه بالواجب (pietas) نحو وطنه وأهله وإيمانه بقدره.

ديوان التقويم (Fasti)

يبدو أن ديوان التقويم (Fasti) هو أقرب أعمال أوفيدوس إلى ثقافة وأخلاق وميول النظام الأوغسطي. لقد سار على خطى بروبرتيوس في "إليجاته الرومانية"، حيث كرس نفسه لتأليف أشعار مدنية. كان هدفه هو قص الأساطير القديمة وعادات لاتيوم متبعًا في ذلك التقويم الروماني. هكذا فإنه كل كتاب من هذا العمل يمثل أحد شهور العام، ولكن النفي المفاجئ للشاعر جعله يتوقف في منتصف العمل، ثم حظي العمل بتنقيح بعض أجزائه أثناء وجوده في المنفى.

لقد حاول أوفيدوس أن يقدم، كشاعر يحتفي بعظمة روما، أبحاث ذات طابع ثقافي في الكثير من المصادر التراثية القديمة، وقد استمد مادته من أدباء سابقين له، وبذلك جنى مادة علمية وفيرة من المعلومات في مجال الآثار والديانة والقانون والفلك، والتي وظفها ليوضح المعتقدات والطقوس وأسماء الأماكن. إن السبب في هذا هو إعادة اكتشاف الأصول القديمة، وهو ما يعد من الاتجاهات الأساسية للفكر الأوغسطي.

كان أوفيدوس يريد أن يرد دينه تجاه وطنه، وذلك بأداء واجبه كمواطن روماني، لكنه كان يؤدي واجبه بقليل من الجدية. إن الفجوة الحقيقية في القصيدة من وجهة نظر الإمبراطور أوغسطس ليست أن أوفيدوس لم يتعامل مع أوغسطس على محمل الجد، بل إنه لم يتعامل مع رومولوس بكل جد أو اهتمام. من الواضح إن ولاء أوفيدوس للنظام السياسي الذي كان قائمًا هو ولاءً ظاهريًا، بالرغم من تأكيده على قيمة أشعاره المدنية.

كان من أهداف كتابة ديوان التقويم تمجيد الإمبراطورية الرومانية، وتبجيل الإمبراطور أوغسطس وعائلته وأصولهم الإلهية في الكتاب الأول:

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

Iuppiter arce sua totum cum spectet in orbem,
nil nisi Romanum quod tueatur habet.
salve, laeta dies, meliorque revertere semper,⁽¹⁵⁾

" وعندما يُطلّ جوبيتر من حصنه على العالم كله،

فلا يرى شيئاً سوى الإمبراطورية الرومانية.

أهلاً بك، أيها اليوم السعيد، وعد دائماً في أفضل حال،"⁽¹⁶⁾

ينقسم ديوان التقويم إلى ستة كتب، عندما بدأ أوفيدوس في كتابة ديوان التقويم، رأى أن الفرصة سانحة لإظهار حبه لوطنه وولائه للإمبراطور وأسرته. سنتبع شخصية آينياس من خلال تناولها في الكتب الستة في ديوان التقويم. في حديث الربة كارمنتا (Carmenta) أو كارمنتيس (Carmentis)⁽¹⁷⁾، وهي التي تتنبأ بما سيحدث لطروادة من تدمير ثم نهوض مرة أخرى، و بقدم حامي الوطن الإمبراطور أوغسطس، الكتاب الأول:

victa tamen vinces eversaque, Troia, resurges:
obruit hostiles ista ruina domos.
urite victrices Neptunia Pergama flammae:
num minus hic toto est altior orbe cinis?
iam pius Aeneas sacra et, sacra altera, patrem
adferet: Iliacos accipe, Vesta, deos.
tempus erit cum vos orbemque tuebitur idem,
et fiet ipso sacra colente deo,
et penes Augustos patriae tutela manebit:

15. Ov. Fast. 1. 85-88.

١٦. الشاعر الروماني أوفيدوس، التقويم، ترجمة علي عبد التواب وآخرين، المركز القومي للترجمة، (٢٠١٦) عدد رقم ٢٧٦١ .

١٧. كارمنتا (Carmenta) أو (Carmentis): هي ربة أركادية الأصل، واسمها يشتق من كلمة كارمن (Carmen)، أي النبوءة أو الأنشودة، فهي تمتلك القدرة على التنبوء، ومن ثم أصبحت ربة الشعر والأغاني. شيدت نساء روما معبداً لكارمنتا في سوق المدينة، وكان الرومان يقيمون لها عيداً اسمه كارمنتاليا: -Dictionnaire de l'Antiquité, p. 182.

hanc fas imperii frena tenere domum.⁽¹⁸⁾

" أي طروادة، مع أنك ستَهزمين ويلحق بك الدمار، إلا أنك ستنهضين ثانية:

وسوف يحيق ذلك الدمار بديار خصومك.

أيا مشاعل المنتصرين، احرقني برجاما^(١٩) التي شيدها نبتونوس^(٢٠)!

ألم يعلو شأن هذا المقدار القليل من الرماد فوق العالم كله؟

عما قريب سيحضر أينياس الورع آلهته ووالده وآلهة أخرى،

أي فيستا^(٢١)، استقبلي آلهة إليا^(٢٢)،

سيحين الوقت الذي فيه سيحميك ويحمي العالم شخص واحد،

وسوف تُقام شعائرك على يد عابد وهو في الوقت نفسه إله،

وسوف تظل حماية الوطن في آل بيت أوغسطس:

لقد قضت الآلهة أن يمسك هذا البيت بزمام الإمبراطورية.

اعتاد الرومان وصف أينياس بالورع (pius)، فهي من أهم سمات الشخصية الرومانية والتي يمثلها أينياس، وقد حمل أينياس عند خروجه من طروادة آلهة

18. Ov. Fast. 1. 523-532.

١٩. برجاموس هو اسم القلعة التي تحمي طروادة، و هكذا صارت برجاما (Pergama) أحد أسماء مدينة طروادة.

٢٠. نبتونوس (Neptunus)، إله إيطالي قديم، ظهر في الأدب الروماني القديم كإله للمياه. كان يقام له عيدًا كل عام في الثالث والعشرين من شهر يوليو يسمى بـ "نبتوناليا" (Neptunalia). بسبب التأثيرات اليونانية أصبح إلهًا للبحار، وكانت له نفس مؤهلات الإله الإغريقي بوسيدون.

Poseidon, Dictionnaire de l'Antiquité, p. 672.

٢١. فستا (Vesta)، تعادل الربية (Hestia) عند الإغريق، وهي ربة الموقد، ولهذا فهي وثيقة الصلة بالهة البناتيس (Penates). شيد الرومان معبدًا لفستا ليجمع كل المواطنين كأسرة واحدة.

٢٢. إيليا: أحد أسماء مدينة طروادة.

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

أجداده مثل الربة فيستا (Vesta)، والبيناتيس، حمل أيضاً والده على كتفيه، ولكنه مات في صقلية ولم يصل معه إلى إقليم لاتيوم. لقد ربط الشاعر نهضة الوطن بآينياس وأوغسطس، لقد أشار إلى آينياس ثم الإمبراطور أوغسطس الذي سيحمي العالم ويحمي الآلهة الرومانية، وهو هنا ينضم إلى فرجيليوس وليفيوس وهوراتيوس الذين تولوا الدعاية الرومانية للإمبراطور وللشخصية الرومانية. هنا يقصد الشاعر بطروادة مدينة روما التي سيشيدها أحفاد آينياس الطروادي، وتتنبأ كارمنتا بأن طروادة الجديدة (روما) سوف تصبح قوية وتنتقم لتدمير طروادة الأولى على يد الإغريق، بل تصبح اليونان ولاية رومانية.

وفي الكتاب الثاني:

nec maiora veto, sed et his placabilis umbra est:
adde preces positis et sua verba focus.
hunc morem Aeneas, pietatis idoneus auctor,
attulit in terras, iuste Latine, tuas.
ille patris Genio sollemnia dona ferebat:
hinc populi ritus edidicere pios.⁽²³⁾

" أنا لا أمانع في تقديم هبات أئمن، لكن أطياف الموتى تُسترضى بهذه:

ضف إلى ذلك الدعاء والكلمات المناسبة لإقامة المواقف.

أي لاتينوس⁽²⁴⁾ العادل، هذه العادة جلبها إلى أرضك

آينياس، فهو خير من نفذ بر الوالدين.

فقد كان يحضر الهدايا المهيبة لقرين⁽²⁵⁾ والده:

23. Ov. Fast. 2. 541-546.

٢٤. لاتينوس هو ملك إقليم لاتيوم.

٢٥. الجنوس (Genius): هو " قرين الإنسان"، فهو الروح الحارسة للإنسان، يمد الجنوس الإنسان بالحياة ويصعبه طوال حياته، فهو بمثابة نفس ثانية بداخله، أو طاقة روحية. لا يقتصر الجنوس على البشر، فكل حيوان وكل جماد له جنوس. اختلف تصور الرومان لشكل الجنوس، فأحياناً يصورونه على

ومن هنا تعلم الشعب شعائر بر الوالدين."

يقدم الشاعر صفة جديدة لآينياس وهي الإحساس بالواجب، وكان الرومان يشيرون إلى "الرجل المتدين" باستخدام عبارة "رجل يؤدي الواجب" (pietas)، المقصود هنا واجبه نحو والديه ومساعدتهما والبر بهما، وإذا كان آينياس هو رمز لأوغسطس فإن الشعب الروماني يفتدي به في كل شيء يفعل.

يقدم أوفيدوس بوضوح فكرة الروح الحارسة (Genius)، وهي التي تظهر بأجل صورة وجهة النظر الرومانية. تبدأ هذه الفكرة برب الأسرة الذي يصبح رأس العائلة بمجرد أن يبدأ في إنجاب الأولاد، فإن طابعه الخاص يعزله وحده ويضفي عليه وجوداً روحياً مستقلاً، فيتولى شأن الأسرة التي تصبح مدينة له باستمرارها وتلجأ إليه لحمايتها. هكذا يكتسب الفرد في هذا التسلسل من الوالد إلى الولد أهمية جديدة. حيث إن الروح الحارسة للأسرة كانت تعبر عن الوحدة والاستمرار اللذين ترمز إليهما الأجيال المتتالية، فكذا صارت الروح الحارسة فيما بعد تشير إلى جماعة من الناس لا يرتبطون بصلة القرابة، بل بالمصالح والأهداف المشتركة خلال المراحل المتتالية، وصار لهذه الجماعة وجود قائم بذاته، فيه المجموع أكبر من الأجزاء.

شكل شعبان رمز للحياة المتجددة، وأحياناً يرسمونه كمخلوق له جناحان، وأحياناً على هيئة شاب يرتدي العباة الرومانية ويمسك في يديه طبقين.

Dictionnaire de l'Antiquité, p. 432.

انظر:

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

في الكتاب الثالث، بينما كان آينياس يسير برفقة أخاتيس^(٢٦) في طريق منعزل، ورأى فجأة أنا (Anna)، أخت ديدو، هائمة على وجهها، وعندما ناداها شعر بالخوف الذي تملكها فبادرها بالحديث:

(flet tamen admonitu motus, Elissa, tui):

'Anna, per hanc iuro, quam quondam audire solebas
tellurem fato prosperiore dari,
perque deos comites, hac nuper sede locatos,
saepe meas illos increpuisse moras.
nec timui de morte tamen: metus abfuit iste.
ei mihi, credibili fortior illa fuit.⁽²⁷⁾

" (إلا أن عينه دمعت متأثراً بذكراك، يا إيلسا):

" أنا، أقسم بهذه الأرض، التي ذات مرة اعتدت السماع

عنها، والتي أعطيت لي بفضل قدر أفضل،

وأقسم بالآلهة التي رافقتني واتخذت مؤخرًا من هذا المكان منزلاً،

أقسم أنها كثيراً ما كانت توبخني لتباطؤي.

لكنني لم أخش عليها من الموت، ذلك الخوف لم يخطر ببالي،

يا ويلي! لقد كانت أكثر شجاعة مما أظن."

و كانت أنا (Anna) شريكة فاعلة في مجرى أحداث قصة حب ديدو - آينياس، فكانت شريكة ديدو في تطور قصة الحب، فقد كانت ديدو قد أقسمت ألا تتزوج بعد مصرع زوجها سيخايوس، ولكن الربة فينوس أوقعتها في حب آينياس، وشعرت ديدو بالخجل من نفسها لشعورها بحب جارف تجاه آينياس، وهي في الوقت نفس تريد الحفاظ على عهدا لزوجها الراحل، وهنا باحت ديدو لأختها

٢٦. أخاتيس هو الصديق الحميم لآينياس وحامل دروعه.

27. Ov. Fast. 3. 612-618.

بسر حبها الخفي هذا، وما كان من أنا إلا أن شجعتها أن تستمر في هذا الحب ولا تضيع شبابها وجمالها من أجل الموتى الذين لا يشعرون ولا يتأثرون بما يجري من أحداث بين الأحياء.

إن الآلهة هم الذين يقررون أقدار البشر، وهم الذين سمحوا بسقوط طروادة، يمنحون القوة الجسدية والمزايا العقلية للناس، يرفعون هذا الإنسان إلى قمة الإزدهار ويهبطون بآخر إلى هاوية الفشل، إنهم يشكلون ما يشبه حكومة تدير شؤون البشر، ولا يتورع أبطال أوفيدوس مواجهة الآلهة، بل إنهم يستسلمون لأقدارهم، فالآلهة هي التي خططت للتقارب بين آينياس وديدو، بل إنها هيمنت على شؤون زواجهما.^(٢٨)

إن آينياس لا يوصف بالبطولة فقط، بل أبرز صفاته هي الولاء لآلهته وقومه وذويه ووطنه، وشعوره العميق بالواجب نحو كل هؤلاء، وهو ما يعبر عنه في اللاتينية بكلمة (pietas)، وكان أوغسطس يتحلى بهذه الصفات؛ لذلك فإن الشاعر استعار آينياس كرمز يخفى وراءه صورة أوغسطس، وأباح لنفسه أن يحط من قدر الآخرين.

يستكمل الشاعر في تقديمه لصفات بطله حيث إنه يتسم بالوفاء والحفاظ على الذكريات القديمة، فهو يقدم أنا لزوجته لافينيا ويعدد لها صفاتها:

incipit Aeneas (cetera turba tacet):
'hanc tibi cur tradam, pia causa, Lavinia coniunx,
est mihi: consumpsi naufragus huius opes.

28. Fabre-Serris J., Mythologie et Littérature à Rome, Le réécriture des mythes aux 1^{er} siècles avant et après J.-C., Payot-Lausanne, 1998, p.108.

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

orta Tyro est, regnum Libyca possedit in ora:
quam precor ut carae more sororis ames.⁽²⁹⁾

" بدأ آينياس التحدث (والتزم باقي الحضور الصمت):

" أي زوجتي لأفينا، لديّ سبب يتسم بالبر هو ما يجعلني أعهد
بها تحت رعايتك؛ عندما تحطمت سفينتي عشت على نفقتها.
إنها صورية المولد، ولديها مملكة على الساحل الليبي؛
كم أرجو أن تحبها على غرار حب الأخت لأختها العزيزة "

في الكتاب الرابع يخلع أوفيدوس صفات أخرى تسيّر في هذا الإطار وهي البر
والورع:

hinc satus Aeneas; pietas spectata per ignes
sacra patremque umeris, altera sacra, tulit.⁽³⁰⁾

" ومن ثم وُلِدَ آينياس الذي برهن على بره إذ حمل على كاهليه
وسط النيران تماثيل الآلهة ووالده، كما اضطلع بمهمة مقدسة أخرى. "

إن حمل آينياس والده وتماثيل الآلهة يبين فضيلة الإحساس بالواجب (pietas)،
فهو الواجب، هذه المرة، نحو الوالدين، والورع الديني (pius) نحو الآلهة التي
يقدها.

وفي الكتاب الرابع يتحدث الشاعر عن عيد فينوس ولماذا يخصص لجوبيتر؟
فيقول:

cur igitur Veneris festum Vinalia dicant
quaeritis, et quare sit Iovis ista dies?
Turnus an Aeneas Latiae gener esset Amatae
bellum erat: Etruscas Turnus adorat opes.

29. Ov. Fast. 3. 628-632.

30. Ibid. 4. 37-38.

clarus erat sumptisque ferox Mezentius armis,
et vel equo magnus vel pede maior erat;
quem Rutuli Turnusque suis adsciscere temptat
partibus.⁽³¹⁾

تسألون: لماذا إذن يطلقون على الفيئاليا عيد

فينوس، ولماذا يُخصّص ذلك اليوم لجوبيتر؟

كانت الحرب دائرة بين آينياس وتورنوس⁽³²⁾ ليصبح أحدهما صهراً

لأماتا⁽³³⁾ اللاتينية: وطلب تورنوس العون من الإيتروسكيين.

كان مزينتيوس مشهوراً وشرساً عندما يحمل السلاح،

وكان عظيماً وهو على صهوة جواده، وأعظم وهو واقف على قدميه؛

هو الذي سعى تورنوس والروتوليون إلى انضمامه في

صفوفهم.

31. Ov. Fast. 4. 877-833.

٣٢. تورنوس (Turnus)، هو ملك الروتوليين. كان خطيب لافينيا ابنة لاتينوس، وذلك قبل قدوم آينياس إلى إيطاليا. يمثل تورنوس في الإنيادة القوة الفردية غير المسؤولة، وكذا النشاط الهجمي في مواجهة الفضائل العامة، ولذا نجده عنيفاً ووحشياً في مقابل ضبط النفس المؤقت الذي يحاول أن يتسم به آينياس. - Dictionnaire de l'Antiquité, p.1025.

٣٣. أماتا (Amata): هي زوجة لاتينوس، ملك إقليم لاتيوم، وكانت قد وعدت ابن أختها تورنوس بالزواج من ابنتها لافينيا، لكن النبوءات قالت للملك إن ابنته ستتزوج من أجنبي. عندما جاء آينياس إلى لاتيوم رأى أنه الزوج المنتظر، غضب تورنوس وصمم على الزواج من ابنة خالته وحاول طرد آينياس من إيطاليا، فدخل معه في حرب. طلب آينياس العون من الملك إفاندروس، الأركادي الأصل، في حين طلب لاتينوس العون من الملك الإيتروسكي مزينتيوس. - Dictionnaire de l'Antiquité, p.45.

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

ومن ثم عرض الملك لاتينوس على ميزنتيوس أن يشارك في الحرب، لكن الأخير اشترط الحصول على نصف مخزون الخمر التي يخزنها اللاتين، أما آينياس فقد ابتهل إلى جوبيتر ونذر أن يقدم له الخمر الجديدة من محصول كروم لاتيوم إن انتصر في القتال:

adnuerant Rutuli. Mezentius induit arma,
induit Aeneas adloquiturque Iovem:
'hostica Tyrrheno vota est vindemia regi:
Iuppiter, e Latio palmite musta feres.'
vota valent meliora: cadit Mezentius ingens
atque indignanti pectore plangit humum.⁽³⁴⁾

" وافق الروتوليون. ارتدى ميزنتيوس درعه،

وارتدى آينياس درعه وابتهل لجوبيتر:

" تعهد عدوي بتقديم محصول كرومه للملك الإيتروسكي؛

أي جوبيتر، ستحصل على خمر جديدة من شجيرات كروم لاتيوم! "

كانت الغلبة للنذر الأفضل. سقط ميزنتيوس الضخم صريعًا،

وارتطم بالأرض بصدر يملأه السخط."

لقد صور أوفيدوس الانتصار في المعركة بأنه من فعل الآلهة وفي مقدمتهم الإله جوبيتر، الحامي والنصير لأوغسطس. لقد آثر الشاعر أن يستعير من الماضي السحيق شخصية آينياس ليرمز بها لمجد روما القديم، ومجدها الحالي المتمثل في أوغسطس.

إن آينياس هو الممثل المثالي للشعب الروماني، ومن ثم فهو يفتقد الخصوصية الفردية، ويوصفه تجسيدًا للنموذج الروماني نجده دائمًا واسع الأفق، وشديد الورع

34. Ov. Fast. 4. 891-896.

مدحت عبد البديع

والإحساس بالواجب^(٣٥).

لقد رأى أوفيدْيوس، أنه قد يكون من المستساغ من ناحية الذوق الفني أن يمدح أوغسطس مدحًا مباشرًا، أو أن يمجده وحده صراحة دون موارد، لذلك أثر أن يستعير من الماضي السحيق شخصية آينياس ليرمز بها لمجد روما القديم، ومجدها الحالي المتمثل في أوغسطس. وإذا كان آينياس أو أحد ذريته قد أسس روما، فإن أوغسطس هو المؤسس الثاني، لأنه بإنقاذه روما من محنة الحرب الأهلية وانتشالها من وحدتها كأنه خلقها من جديد^(٣٦).

هذا أحد وجوه الشبه، يوجد أيضًا تشابه في الصفات بين الاثنين، إذ لا يوصف آينياس بالبطولة فقط، بل أبرز صفاته هي الولاء لآلهته وقومه وذويه ووطنه، وشعوره العميق بالواجب نحو كل هؤلاء، وهو ما يعبر عنه في اللاتينية بكلمة (pietas)، وكان أوغسطس يتحلى بهذه الصفات؛ لذلك فإن الشاعر استعار آينياس كرمز يخفي ورائه صورة أوغسطس.

يسير آينياس في البداية وفق خطة القدر، ثم وصل في النهاية إلى مرحلة الوعي بالقدر وتنفيذ خطته وبحماس متدفق. هكذا تتطور شخصية البطل، ويعاني خلال مراحل التطور هذه، لأن المعاناة هي جوهر هذه الحياة الدنيا، لكن هناك هدف مرصود، هناك أيضًا أمل^(٣٧).

35. Brisson J-P., Virgile son temps et la nôtre, Paris, 1966, p. 167.

36. ker H. & Fredouille J., Littérature Latine, Presses Universitaires de France, 2001, p. 38.

37. Martin R. & Gaillard J., Les Genres Litt éraire à Rome, Nathan-Paris, 1993, p. 135.

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

إن ديوان التقويم (Fasti) هو العمل الأوغسطي الوحيد لأوفيدوس، أي أنه من خلاله يسير مع متطلبات العصر، وبالتحديد تمجيد القومية الرومانية والمشروع الأوغسطي، حيث يعلن أوفيدوس في الكتاب الثاني ما يلي:

haec mea militia est; ferimus quae possumus arma,
dextraque non omni munere nostra vacat.⁽³⁸⁾

" هذه هي مهمتي العسكرية: وأحمل ذلك السلاح الوحيد الذي أستطيع حمله،
فيمنائي لا تفتقر إلى كل المهارات."

هكذا تُبث المشاعر الوطنية في الديوان مع شيء من المجاملة الفجة لأوغسطس. لقد كافح أوغسطس بكل الوسائل المباشرة وغير المباشرة ليتأكد من نشر التقاليد الرومانية الموروثة، فقد أعاد دعم قواعد الأخلاق والسلوك، وأقر نمطاً جديداً للعمل والإخلاص للواجب. لقد كان لثنائه الفضل في تشجيع الشعراء والمؤرخين على نشر المثل العليا الرومانية القديمة في الخارج، وعلى الاعتزاز بها. لقد رأى أوفيدوس أنه من الأفضل له أن يسير مع متطلبات العصر، فأراد أن ينضم إلى الدعاية الإمبراطورية التي كان يقودها فرجيليوس وهوراتيوس وليفيوس. كانوا يتخذون "الفرد" و "الحالة الخاصة" وسيلة للتعبير عن رسالتهم، وهذا هو السبب في قيام آينياس وجميع الأبطال بكل تلك الأعمال الشاقة، ففيهم تتجسد المثل العليا؛ والعقل الروماني، تبعاً لذلك، يفضل ألا تعالج المجردات بل تُرى الأشياء - كالحركات والميول والمثل العليا - ممثلة في أشخاص عاشوا يوماً ما.⁽³⁹⁾

لهذا فإن التاريخ والفلسفة الأخلاقية مع ما فيهما من مثل مأخوذة من أشخاص حقيقيين، هما فرع التفكير و الأدب اللذان يهمان الرجل الروماني إلى أقصى حد.

38. Ov. Fast. 2. 9-10.

39. Tupet A. M., La magie dans la poésie latine, Des origines à la fin du règne d'Auguste, 2e tirage, Les Belles Lettres, Paris, 2005 , p. 135.

مدحت عبد البديع

لقد أعلنت عن مقدم عصر أوغسطس ثورة عارمة من الشعور الأمين وجدت التعبير الصادق عنها في إنتاج ثلاثة مبدعين، هم: فرجيليوس وهوراتيوس وليفيوس، لقد كان هوراتيوس وفرجيليوس صادقين كما كانا رومانيان، عندما أعلننا الفكرة القائلة بأن "هناك شيئاً مقدساً في أوغسطس"، وكان يجب على أوفيديوس أن يسخر إمكانياته من أجل تأكيد هذه الفكرة في عمله التقويم.

المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

- Ovide, *Heroides*, Texte établi par: Henri Bornecque , Traduit par: M. Prevost, Les Belles Lettres, Bude, Paris, 2008.
- Ovide, *Fasti*, Tome 1: Livres I-III, Texte établi et Traduit par: Rober Schilling, Les Belles Lettres, Bude, Paris, Dernier tirage: 2011.
- Ovide, *Fasti*, Tome II: Livres IV-VI , Texte établi et Traduit par: Rober Schilling, Les Belles Lettres, Bude, Paris, Dernier tirage: 2011.

ثانياً المراجع والدوريات:

- Brisson J-P ., *Virgile son temps et la nôtre*, Paris, 1966.
- Britton, E. L., *The Dido-Aeneas Story from Vergil to Dryden*, Diss., University of Virginia, 1984.
- Fabre-Serris J., *Mythologie et Littérature à Rome, Le réécriture des mythes aux 1^e siècles avant et après J.-C.*, Payot-Lausanne, 1998
- Hershkowitz D., *The Madness of Epic, Reading Insanity from Homer to Statius*, Clarendon-Oxford, 1998.
- Jenkyns R., *Classical Epic: Homer and Virgil*, 2nd edition, Bristol Classical Press, 1998.
- Kerenyi C., *The Gods of the Greeks*, London, 1979.
- ker H. & Fredouille J., *Littérature Latine*, Presses Universitaires de France, 2001.
- Martin R. & Gaillard J., *Les Genres Litt éraire à Rome*, Nathan-

صورة آينياس في أعمال أوفيدوس

Paris, 1993.

Tupet A. M., La magie dans la poésie latine, Des origines à la fin du règne d'Auguste, 2e tirage, Les Belles Lettres, Paris, 2005 .

ثالثًا المراجع العربية:

- أوفيدوس ، رسائل البطلات، ترجمة علي عبد التواب، بهاء الدين أسامة، الكتاب الخامس والعشرين، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، مشروع جامعة القاهرة للترجمة، ٢٠١١.

- أوفيدوس، التقويم، ترجمة علي عبد التواب وآخرين، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦ .